السينما وقضية فلسطين

وليد شميط

انتبهت الحركة الصهيونية منذ مؤتمرها الاول في بال عام ١٨٩٧ ، أي بعد سنوات قليلة جدا من ولادة السينما ، الى اهمية هذا الاختـــراع العجيب والدور الاعلامي والدعائي الخطير الذي يمكن ان يلعبه • وبعد سنتين فقـط من مؤتمر بال شددت على ضرورة استعمال السينما كوسيلة لنقل الفكـــر الصهيوني الى اليهود انفسهم والى شعوب اوروبا بشكل خاص • وتطور مع الوقت، وحسب مقتضيات الحاجة والضرورة والخطط الانية والاستراتيجيـــة للصهيونية ، الهدف من السينمـــا الذي ارتكز ، في البداية ، على أسس عامة ثم تبلور فيما بعد حول ثلاثـــة محاور رئيسية : دعم فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين والتركيز على اللاسامية وبالتالي اضطهاد اليهودي في كل مكان ، ضبغ الفكر الصهيوني بالطابـــع الانساني ، وحق الشعوب في تقرير مصيرها وربط هذا المبدأ بحق اليهود في فلسطين •

ونجحت الصهيونية ، بعد قيـام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ ، نجاحا ملموسا ، بفعـل رؤوس الاموال اليهودية في اوروبا واميركا وبفعل هيمنتها على قسم كبير من وسائل الاعلام الغربية ، في استعمال السينما بهدف تشويـه الحقائق وقلبها واعطاء صورة مزيفة عن طبيعة الدولة اليهودية تبدو اسرائيل من خلالها دولة متقدمـة ومنارة اشعاع في المنطقة العربية المتخلفة • بل ذهبت ابعد من ذلك وحـاولت ان تلغي وجود الشعب الفلسطيني ، وان توهم العالم بأن حق اليهود في فلسطين حـق تاريخي ، وبأن حرب ١٩٤٨ كانت حرب استقلال وتحريـــر خاضها الشعب اليهودي ضد الانجليز والعرب معـــا •

وتحقيقا لهذه الغاية كـــان لا بد من تسخير التاريـــخ وتوظيفه لصالح « الشعب المختار » ، فقامت هوليوود بانتاج مجموعة افـــلام « تاريخية » تدور احداثها قبل المسيحية وتتناول مشاكل القبائـــل اليهودية مع الفراعنة الذيـــن اضطهدوا اليهود وحاولوا منعهم من العيش بسلام في« ارض الميعاد »• ومن ابرز هذه الافلام« الوصايا العشر » لسيسل ب• دي ميل ، و « الفراعنـــة » لهيوارد هوكس و « سليمان والملكة سبا » الذي « يظهر » جذور علاقة تل ابيب بأديس ابابا !

وكان من الطبيعي بعد ذلك ان تستغل الصهيونية المجـازر التي ارتكبها هتلر بحق يهود اوروبا في الحرب العالمية الثانية ، للتأكيد على مسألـة اضطهاد العالم ، قديمه وحديثه ، لليهود الذين لا حـــل لمشكلتهم سوى بانشاء وطـــن قومي لهم ، وبالتالي ضرورة قبول العالم باسرائيل كحل نهائي للمسألة اليهوديـة • ومن أبرز الافلام التي شددت على هذا الامر فيلـــم « اكسودوس » (Exodus) للاميركي اوتو برمنجر و « حائط في القدس » للفرنسي فردريك روسسنف •

واهتمت الصهيونية كثيرا بالتأكيد على ان « فلسطين ارض دون شعب لشعب دون ارض » • وعندما لم يعد بالامكان جعل العالم يعـرف ان فلسطين كانت ارضا قاحلة وغير مأهولة ، غيرت الدعاية الصهيونية تبريراتها واعترفت بأنه كان في فلسطين بعض السكان ، ولكن هؤلاء تركوها قاحلة جرداء • وظهـــرت بعد ذلك مجموعة كبيرة من